الصباح الإسلامية
09
العدد 1665 - السنة السادسة
الثلاثاء 11 ذي القعدة 1434 - الموافق 17 سبتمبر 2013
Tuesday 17 September 2013 - No.1665 - 6th Year

صور من حياة النبي صلى الله عليه وسلم

بشريّته عليه الصلاة والسلام كانت حاضرة في سيرته فنراه كغيره من الناس

يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويسعى إلى الرزق

حياة الأنبياء عليهم السلام حياة بشرية كاملة، تجمع بين الجوانب الإنسانيّة والخصائص الرسالية، وشأن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كشأن اخوانه من الانبياء ممن سبقه في النبوّة والرسالة، فبشريّته عليه الصلاة والسلام حاضرة في سيرته، يُدركها كل من قرأها، فنراه كغيره من الناس يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويسعى إلى الرزق، كما قال الله تعالى: «وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» (الفرقان: 7).

وبين يدينا حديث عن أحد الجوانب البشريّة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي علاقته صلى الله عليه وسلم بقضايا الكسب والمعاش، والبيع والشراء، فقد بدأت تلك العلاقة في سنّ مبكرة ومرّت بمراحل عديدة، فكان عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم في بني سعد وهو غلام مع إخوانه من الرضاعة، مقابل شيء يسير من المال.

ومع مرور الأيّام استفاد النبي صلى الله عليه وسلم من قربه من عمّه أبي طالب آراءه وخبرته، فتعلّم منه فنون التجارة وأساليبها، فما بلغ سنّ الشباب إلا وقد حاز شهرة واسعة في مكّة وما حولها، حتّى سمعت به خديجة رضي الله عنها، فتعاقدت معه على التجارة بمالها، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع غلامها ميسرة، وعاد لها بربح وفير، وسرعان ما توطّدت العلاقة التجارية بينهما حتّى تُوّجت بالزواج، وظلّ الأمر كذلك إلى أن أكرم الله نبيّه صلى الله عليه وسلم بالرّسالة.

وفي تلك الأثناء كانت للنبي صلى الله عليه وسلم شراكات تجاريّة أخرى مع بعض أهل مكّة، يشير إلى ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن السائب بن أبي السائب رضي الله عنه كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «قال مرحبا باخي وشريكي».

أما بعد نزول الوحي فقد كان شراؤه صلى الله عليه وسلم أكثر من بيعه، لما تتطلّبه أعباء الرسالة من متابعة وتفرّغ لشؤون الدعوة وتوجيه الناس والفصل بينهم، وغير ذلك من الأمور المهمّة.

ومن الصور التي حُفظت في بيع النبي صلى الله عليه وسلم ما حدّث به جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رجلاً أراد عتق غلام له، ثم احتاج للمال، فأراد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يفك عنه حاجته فعرض ذلك الغلام للبيع، فاشتراه نعيم بن عبد الله رضي الله عنه بثمانمئة درهم، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الدراهم إلى صاحب العبد، والحديث رواه البخاري ومسلم.

وفيما يتعلق بشرائه صلى الله عليه وسلم فهناك العديد من المواقف التي تدل على أنه كان يباشر ذلك بنفسه، أو يوكل ذلك إلى أحد من أصحابه، فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد، رواه البخاري.

وفي طريق العودة من إحدى الغزوات اشترى النبي صلى الله عليه وسلم من جابر بن عبدالله رضي الله عنه جملاً كان يركبه، وعند وصولهم إلى المدينة أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الثمن وزاده، ثم أرجع إليه جمله، والقصّة بتمامها في الصحيحين.

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم عروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه ديناراً ليشتري له أضحية، فاشترى عروة شاتين بالثمن ثم باع إحداهما بدينار، ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ودينار، فدعا له بالبركة في بيعه، رواه أبو داود.

وربما احتاج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المال فيقترض أو يرهن شيئاً عنده من سلاح ونحوه، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، رواه البخاري.

وتعاقد النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر لممارسة النشاط الزراعي لصالح المسلمين، مقابل أن يأخذوا شطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع، رواه مسلم . وقد أسّس النبي صلى الله عليه وسلم منهجا متكاملاً يسير عليه الناس في تعاملاتهم، فحرّم جملة من المعاملات التي فيها ضرر أو غبن، كالتعامل بالربا، وبيع الغرر، وبيع العينة، والتجارة بالمحرّمات. وبيّن أهميّة التقابض بين البائع والمشتري، وحدّد أنواع الخيار عند الرغبة في التراجع عن الصفقة، إلى غير ذلك من الأسس والضوابط المقرّرة في سنته.

وبالجملة فإن كل ما أوردناه من أمثلة تدور حول محور واحد، يتلخّص في أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلم أمته أن السعي في الرزق وتحصيل القوت لا يتنافى مع الإقبال على الآخرة، بل هو مطلب من مطالبها، علاوة على كونه سبباً في نهوض الأمة ورقيّها، لتنال بذلك مكانة سامية بين الأمم.

المحن والابتلاءات تفتح للمؤمن أبواب التضرع والتذلل للخالق وتربي فيه الإخلاص لله

المسلم صحيح الايمان لا يتمنى المحن أو الفتن ويناى بنفسه عنها اذ لا يجوز لمسلم أن يعرض نفسه للفتنة وهو قد لا يصبر عليها، أو يضع نفسه موضع الذل والهوان، أو موضع المتسلط عليه من الكفار، فتصبح فتنة للدين كفروا، ولكن إذا تعرض المسلم للمصائب والمحن بقدر من الله ولحكمة يريدها الله، فلابد أن يصبر ويتقي الله، وبعدها يؤتي الله نصره من يشاء، وعندما يتعرض المسلمون للمحن والرزايا فلاشك ان في ذلك فوائد كثيرة يريدها الله جل وعلا، كتمحيص الصفوف ومعرفة الصابرين المجاهدين، والدخلاء الذين هم غثاء كغثاء السيل.

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام رحمه الله لفتات طيبة في هذا الموضوع، ننقلها لأهميتها، يقول رحمه الله: وللمصائب والمحن فوائد تختلف باختلاف رتب الناس أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها.

والثاني : معرفة ذل العبودية وكسرها، وإليه الإشارة بقول تعالى: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون»، اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده، وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره، لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه.

والثالثة : الإخلاص لله تعالى، إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو».

والرابعة: التضرع والدعاء: «وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا».

والخامسة: تمحيصها للذنوب والخطايا: «...ولا يصيب المؤمن وصب ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كفر به عن سيئاته» رواه مسلم.

والسادسة: ما في طيها من الفوائد الخفية : «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا»، ولما أخذ الظالم الجبار الذي كان يحكم مصر سارة من إبراهيم عليه السلام كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين، فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية. والسابعة: إن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر.

ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وتغربوا عن أوطانهم، وتكاثر أعداؤهم، ولم يشبع سيد الأولين من خبز مرتين، وأوذي بأنواع الأذية، وابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي، قال عليه الصلاة والسلام : «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج».

والثامنة: الرضا الموجب لرضوان الله تعالى، فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر، فمن سخطها فله السخط ومن رضيها فله الرضا.

ونحن نسال الله تعالى أن يمكن للمسلمين بعد المحن والرزايا وأن يستفيد المسلمون الدروس الكبيرة من هذه المحن.

كيف تتخلص من صديق السوء؟

«المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل» .. كلمات خرجت من مشكاة النبوة لتوجيه المؤمنين الى الصراط السوي والثبات عليه بمساعدة الرفقة الصالحة المعينة على الخير، وهناك من يدرك ان فراق أصدقاء السوء ضرورة ماسة ليستقيم في حياته لكنه لا تطاوعه نفسه على ذلك، ولا يستطيع أن يفك هذا الارتباط معهم، ويرجع ذلك إلى أسباب منها: أنهم يملئون عليه وقت فراغه القاتل، أو أنهم يعوضونه عن جوانب يفتقدها في بيته، أو أنهم يمثلون له منطلقا لتحصيل المتعة، ويسعد بما لديهم من روح المغامرة والمرح والانطلاق.

والانسان العاقل من لا ينظر تحت قدميه، ولا يتشبث بتلك التي يسميها فوائد من وجهة نظره، ويغض الطرف عن الأضرار والمفاسد التي قد يتحصل عليها من جراء هذه الصحبة، والتي هي كثيرة وخطيرة، بل وهي أخطر مما يتصور، خاصة وان ادرك المرء ان هذه الصحبة تحدد معالم مستقبله، والمتهاون بشأنها إنما هو على خطر عظيم .

ولهذا فان الانسان مطالب بان يكون كيساً فطناً، حريصاً على المنفعة، لا يقامر أو يتغامر بمستقبله، وليس مستقبله الدنيوي فقط انما مستقبل حياة ابدية سرمدية فيها موعد لن يخلفه، سيقف فيه بين يدي احكم الحاكمين وسينظر فيه ما قدمت يداه ولن يمله له أحد شيئا ولو كانوا اقرب المقربين أمك الحنون، أو والدك العطوف وكلاهما سوف يفر منك ايها الانسان يوم القيامة رغم ما كانا فيه من عظيم حرص عليك في الدنيا (يوم يفر المرء من أخيه وأمه أبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه).

واذا كان هذا هو الحال مع من يحب الانسان فكيف بمن هم أضر الخلق عليه في الدنيا؟ وكيف سيكون حالهم معك يوم القيامة؟ قطعا سيتبرؤون منك ويلقون بالتبعات عليك، يريدون أن يضيعوا عليك آخرتك كما كانوا يضيعون عليك دنياك، قال تعالى: «الإخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو إلا المتقين ».

ولأجل خطوة ايجابية وقرار شجاع للخلاص من هذه الصحبة السيئة لابد من بحث الأمر بجدية وتناوله بموضوعية، وتحديد الهدف منه ثم وضع تصور للمعوقات التي قد تحول دون تحقيق هذا الهدف، ثم بناء على ذلك وضع السياسات، والخطوط العريضة العامة التي تنطلق منها جميع الإجراءات، والتي يمكنك ان تتغلب بها على العقبات في ضوء الهدف المنشود.

وليكن هدفك: مفارقة أصدقاء السوء للنجاة من شرهم في الدنيا والفوز بالآخرة.

المعوقات: الارتباط النفسي مني نحوهم، والحنين إلى ما تهواه نفسي من صفحات الماضي، تكالبهم علي ومحاولة التاثير علي للعودة إلى مصاحبتهم، وقوعي في الحرج الشديد حيث يتطلب الأمر مني شرح الأمر لهم، والدوافع والأسباب، معرفتهم لأدق أسرار حياتي والتي قد يفضحونني بها بين الناس، السياسات: التركيز على الإجراءات النفسية، لإعادة صياغة النفس وتغيير قناعاتها، اعتماد مبدأ إيجاد البدائل لتعويض ما قد تراه النفس حرماناً، اعتماد تقوية البناء الروحي الإيماني حتى يسهل هدم جدار رواسب الماضي الذي أكثر ما يتمثل في مصاحبة أصدقاء السوء. ثم قم بتعليق هذه الورقة في حجرتك لتنظر فيها من آن لآخر.

ولنبدأ الآن الخطوات العملية التي تعينك على التخلص من رفقة السوء في ضوء الخارطة التي رسمناها، والسياسات التي وضعناها، اذكرها لك في هيئة عناصر تحوي إرشادات موجهة: اجعل لك في كل أسبوع يوما تجلس فيه مع نفسك عشر دقائق، تستحضر فيها أضرار الصحبة السيئة التي ذكرناها.

اجعل لك يوما آخر تجلس فيه مع نفسك ربع أو ثلث ساعة تستحضر فيها مشاهد يوم القيامة، وعلى وجه الخصوص مواقف الندم والحسرة وتبرؤ الناس بعضهم من بعض، ومنهم أصحاب السوء.وحاول أن تستجمع كيانك كله في استحضار ذلك، وتخيل نفسك في هذه المواقف.

قم بتعليق ورقة في غرفة نومك مكتوب فيها هذه العبارات:

فكر بعقلك لا بمشاعرك.

احرص على ما ينفعك.

صديق السوء = الفشل والعذاب في الدنيا والخسران والبوار في الآخرة.

لا تستجب لمحاولتهم إعادتك إلى صحبتهم.

لو كانوا يحبونني بصدق لنصحوني بما ينفعني.

وانظر في هذه الورقة وردد ما فيها بتركيز لمدة عشر دقائق، لمدة شهر كامل، مرة واحدة يوميا.

أخبر الجميع بانك قد فارقت رفقاء السوء، وعلى وجه الخصوص أهلك، فلا شك أنهم سيكونون عونا لك في ذلك الأمر.

حاول تغيير رقم هاتفك، ولا تعلمهم بالرقم الجديد.

إن اضطررت إلى إبرام موعد فاجعله في المسجد، من أول اللقاء إلى آخره، ولا تتنازل عن ذلك مهما كانت الأسباب، وهذا بالطبع مع الصديق الذي يضيع لك وقتك ويسهم بصفة غير مباشرة في فشلك، أما أهل الإجرام والمنكرات والفساد فهؤلاء احذرك من لقائهم البتة.

تذكر أنك شخص جديد، ولا تنظر إلى ما كانوا يعرفونه عنك وتخاف أن يخبروا به، فحتى إن فعلوا سوف يزول ذلك من أذهان الناس بواقعك الجديد، وسمعتك الطيبة.

صل الصلوات الخمس في جماعة، وادعوا الله أن يبعد عنك السوء وأهله، وأن يثبتك على الصراط المستقيم.

استعن بسماع المحاضرات والخطب، أو الرسائل التي موضوعها الحديث عن الآخرة والجنة والنار والقبر عذابه ونعيمه.

اجتهد في أن يكون لك ورد من القرآن واقرأه بتدبر.

صل بالليل من بعد صلاة العشاء ولو ركعتين وركعة الوتر.

اجتهد في أن تصوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

احذر الذهاب إلى أي مكان يذكرك بمعصية فعلتها بصحبة أصدقاء السوء.

لا تبق أي شيء يذكرك بهم حتى ولو كانت هدايا.

هل الميت خفيف الجنازة يعتبر شهيداً؟

يتساءل البعض: هل تقل جسم الميت أثناء حمله على الأكتاف ساعة الدفن دليل على أن أعماله السيئة أكثر؟ وهل اذا كانت جنازته خفيفة يعتبر شهيدا ؟ أم ماذا؟

وللجواب على السؤال نؤكد انه ليس في شريعتنا ما يدل على ذلك، وغاية ما ذكره بعض متأخري الفقهاء، ما جاء في حاشية «نهاية المحتاج» للشبراملسي قوله «سئل أبو علي النجاد عن خفة الجنازة وثقلها فقال: إذا خفت فصاحبها شهيد، لأن الشهيد حي، والحي أخف من الميت، قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) (آل عمران – 169) . ذكره أبو الحسين في طبقاته في ترجمة عمر أبي حفص البرمكي».

لكن الصواب أنها ليست بعلامة صحيحة، فليس ثمة دليل على أن الميت أثقل من الحي، فلم يثبت ذلك بالوجه الشرعي ولا بالوجه الحسي أو العقلي، فضلا عن أن يكون ذلك علامة على حسن الخاتمة أو سوئها، ولا علامة على صلاح صاحبها أو فساده، وخاصة أن كثيرا من الناس يسيئون الظن ببعض الأموات بهذه العلامات المتوهمة، فيقعون في الزلل والإثم من غير بينة ولا دليل.

قصص الجنائز

وقد جاء في «فتاوى اللجنة الدائمة» التي يجيب عنها اعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية السؤال الآتي: أخبرني مجموعة من الناس العقلاء وذوي أهل الرأي والسداد، أنهم شاهدوا جنازة رجل مسلم خفيفة جدا جدا، وأخرى كانت ثقيلة جدا جدا، وثالثة أنهم عندما قاموا بإخراجها من المنزل صارت هذه الجنازة تعوم وتتحرك فوق رؤوس الرجال، فما موقف الإسلام من هذه القصص؟ علما أن الذين شاهدوا ذلك رجال ثقات وعدول، والكذب بعيد عنهم .

واجابت اللجنة: لا نعلم لخفة الجنازة وثقلها أسبابا سوى الأسباب الحسية، وهي نحافة الميت، وضخامة الجسم، أما من يزعم أن ذلك يدل على كرامة الميت إذا كان خفيفا، وعلى فسقه إذا كان ثقيلا، فهذا شيء لا أصل له في الشرع المطهر فيما نعلم، وأما حركة الجنازة على النعش فيدل ذلك على حياته، وأنه لم يمت، فلينظر في شأنه، وليعرض على الطبيب المختص حتى يقرر موته أوحياته، ولا يستعجل في دفنه حتى يعلم يقينا أنه ميت».

وقد عد الشيخ الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز»: اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت صالحة خف ثقلها على حامليها، وأسرعت عده من البدع المحدثة، والله أعلم.